محمد كامل الخطيب

عالم جبرا ابراهيم جبرا الروائي

مقدمة عامة

يقدم الجنس الروائي ، بشكل عام ، او هو يحاول ان يقدم ، امتلاكا جماليا ومعرفيا للراهن الذي تصدر الرواية اثناءه ـ زمنا ومكانا ـ وللواقع العام الذي يحاول الروائي اكتناه جوهره وتقديم رؤيته عنه وله . قد تستطيع رواية واحدة تقديم مثل هذا الامتلاك المعرفي الجمالي او الوصول اليه ، كما في « الحرب والسلم » لتولستوي ، والاخوة كرامازوف لدوستويفسكي ، وثلاثية نجيب محفوظ : فكل عمل من هذه الاعمال يقدم وجهة نظره في راهن مجتمعه وفي الواقع الانساني العام ، وفي حالة ثانية قد يقدم الكاتب رؤيته للراهن والواقع ، او تملكه المعرفي ـ الجمالي لهما عبر مجموعة من الروايات تقدم عالما موحدا ومتكاملا ، كما في مجموعة اعمال همنغواي او كازنتزاكي أو حنا مينه في الرواية العربية .

أ ـ امتلاك الراهن :

بشكل عام ، تتمثل الرواية ـ او هي تحاول ـ الحركة العامة في مجتمعها وعصرها .

ان الرواية تكاد تكون اكثر الاجناس الادبية حساسية تجاه المجتمع : فالنسيج الروائي ، كشبكة مؤلفة من شخصيات وحوادث ولغة ، انما يشابه نسيج الوجود الاجتماعي في تكونه من العناصر نفسها . شخصيات وحوادث ولغة ، ومن هنا ليس من التعسف ان يجري القارىء تشابها ، بل نوعا من المماثلة بين شخصيات وعلاقات رواية ما وبين شخصيات وعلاقات راهن اجتماعي ما ، خصوصا اذا كانت الرواية تقدم بعض القرائن الدالة ، أو كانت صادرة عن الراهن الذي تجري المشابهة به ومعه. فكثير من الروايات والعوالم الروائية هي نفسها التي تقود الى مثل هذه المشابهة ، لا مشابهة شخصية روائية بشخصية اجتماعية حقيقية ، او مشابهة حدث روائي بحدث اجتماعي حصل فعلا ، بل ان ما يتشابه هو دلالة جوهر الشخصية الروائية ، ونموذجها ، او دلالة جوهر الحدث الروائي ومضمونه ، مع جوهر الراهن والواقع والشخصية الاجتماعية . وحتى لو تركنا نظرية « الانعكاس » جانبا ، فاز النسيج الروائي ، باعتبار أنه يقدم وجودا فنيا له شكل الوجود الاجتماعي ـ الانساني ، هر الذي يقدم اغراء المشابهة .